شعر

بحار جبل قاف



سر غنيمى

أفريقيا الشرق

شعر

بحار جبل قاف

محمد السرغيني

أفريقيا الشرق

رقم الإيداع القانوني : 792/90

الحياد

(1) رغــوة :

قبّعة تخفى قروح الرأس. يا لهذه العنقاء من زغبها المحلوج مثل قشرة القـرع ! الـتراب رغوةٌ فسادها بحجمها، والباب في اصطفاقها بلاغة الوصال والهجران. (لا تضحكني نكتته) أشهد أن رجلا وشجرة تعانقا طوال قامتيهما. تفسّخا في الليل حتّى انفصلت كياسة الجسد عن رطانة الجثّة. (تلك فرس مركوبها الراكب) يا بائعة المعاطف الحرير ! أين يبدأ الرجل فيك ضجره ؟

بيوم عيد النحر؟ لا .
بكذب التهر على الشباك ؟ لا .
برعوة الإِدْمَانِ في الحواسّ ؟ لا .
لكـلّ جيّ نابت لحاؤه، وقـارىء النواة من معدنها مآله الرغوة. طرف العين يرتدّ اليه دَاعِراً
● يساقط الزغب منِ غازاته، ويستشيط غَضَباً
● شجرة تشاغلت بشَجَّةِ الرأس عن الرأس المصاب
● حملت من رجلينَ الشجرة.

(2) غـــابة :

ترحّب الغابة بالذبابة
كأنّها «السافانا»
كمالها الضحك والنوم، وقمّة الكمال الفأس والحطّاب.
(نسبيّة براءة الأخشـاب الاّ بنـوس) عادة وخـرقهـا، والضـوء بالضوء الكفيف. خنفساء ذكر تمرّغت في روثها الأمرد. (لا داعي للمجهر كي تقتنص الغابة في اختلالها) سلاسة الحصاة لا تنبىء أن عصرها النفطيّ أدرك أوان النضج. (نفس حيلة التكرير نفس حيلة العفاف والكفاف)

تَرْبُو بَكَارَتي على عذريّة الغابة قدر بوصـــــــــــــــــــــــــــــــة.
ويرجم الـزّانية القنـاص بالضـوء الكفيف. (تقتـل الفرصة باهتبالها)
وتنتهي الأحراش أن تفضى بالسّاري الى دماثة الضحك والنوم. على
الذبابة
الحاحها كنملة الصرح، لأن حاجة الفأس الى الحطاب مثل حاجتى أنا
الى البوصة. (ما أنا بناس تعبي) تنطفيء الغابة من أمعائها، ووحده
الحصى يمج حطبا، ووحدها الذبابة
تضحك في اللهجة أو تنام في متاحف «السافانا».

(3) عنـــب :

تساقط الثلج على فروته حوت صغير الحجم والزعانف.
وشهـد الوسيط في مسوحه الملغاة أن دوده منه. فيابنيّ لا تلبس سوى عمرك ! لا تقنع من البيع بما قلّ ودلّ ! وائتني مجرّداً من قبل أو بعد ! ائتني في ساعة الصفر ! فمن دائرة الابهام والسبّابة،

مائـدة المطر. ملء الصوت صوت واحد : ترابه اليابس من أنقاضه.
وسقط الصـوت بفعـل النـزق اليومي والبـارود والغبار. (كيف يحسن
السكوت عنه ؟) ميعة الكلس المراهق وشيب الأبيض المشاغب
يساقطان عنباً. (أزعم أن ألف العنقود غيريائه) وأنت يا بنيّ لا تنزح عن
الثلوج والرمال. لا أقصر من بردعة الحمار
عَرَّابُهَا فيها، وفيها المقعد الواحد للراكب والمركوب.

(4) خـــرطال :

دعـوت قاطع الطريق في هزبع الليل أن يرفق بالحنطة والخرطال. (لا يسبق سَاقَيَّ سوى الرغبة في البكاء) عيب الصور أن تأخذه العزة بِالإِثْمِ ولما تشتعل بعد حواسّ الأرض. مرحى للهلالي وللمتوني !
خبـزهمـا اليوميّ من تقاطع الطواف والسعي تغوص الساق في الشتلة والشتلة في الكلس الأصمّ.

الدّمِ جنّ مرّة، فساءل الحنطة عن أنساغها. لم يحتفل بردّة الخرطال. إنّ فائِضَ الشبع فيه فائض الجوع، وفي الفيضين أن تأكل حتّى قشرة القوسين من وسطها ووسطى، أنا الذي تشحذ بي بصرها الآلة لا أعيرها أظفاري أعرتها أجفاري.
يفتّش الطاعون عن قبيلة بقي منها السيف واحتياطيّ الحنطة والخرطال لكلّ شيء عنده ـ وكلّ شيء عنده ـ رائحة الصلصال.

الكثافة

(1) «الزيانى» و«يافث»

وفيما يرى نائم لا ينام «الزياني» في «يافث». (يبحث الأثري عن المومياء الدفينة في المرمر القرمزي) فقال : «انتسب لغد» ! وانتسبت الى أمس. ينحت توأمـة المستحيل من الصخـر. يدرك أن النـدامـة من عمـل «الكسعيّ». يبوح حساب التفاضل للأثريّ بأسراره. انقطعت بحساب التفاضل أسبابه. (بفمي يأكل الثوم) نفس مقمّطة بكثافتها : طيلسان وناب يسيلان من وجهتين وينطبقان على الرأس والفم. تحتاج كلّ مذكّرة للمنبّه أو لفتاة الغلاف، ولا يسع الكون نفسا تهاجر من عفة تتفكّر فيه الى عفّة يَتَذَكَّرُهُ حدسها. الأثريّ يرمّم فيها الطلاوة دون التفّسخ. ضلّله حدسه المزدوج.

(2) امرأة ونصفهـــا :

تقاسمني امرأة نِصْفَهَا المستغيث وتودعني نصفها المستغاث به. (بالبكاء احتياطاً لفاجعتين، وبالضحك المستعار احتجاجاً على ورمين) هي الكلمات وأسباطها صورة الإفْكِ بين خيال تخلّف عن ركبه ومطاردة وقفت عند كِلْمَةِ «كُنْ». (دهرك الآن في أرذل العمر) سجّل عليها استباق الخطى واقتران الفضيحة بالخوف! يا أيها النصف! ما مات من شجّة الرأس رأس، ولا وزّعت ماءها جرّة بالمساواة بين رجوم الحصاة وبين رهافة فخّارها. ولئلا تموت الرميّة بالرمي لم تنكسر للمناحة. (لم يرمها أحد بالنقاهة إلاّ رمته بها) شرّ موتتها ماتها بالنيابة عنها التراب. التقى الميتان مصادفة عند باب الغريزة. كأسان في قطرة، والكثافة في رئتيها طِمَيّ ذاهل عن تعاليمه غارق في اللجاج.

(3) الخباء واللصـــوص :

تسلّل من ضفّة النهر بعضٍ اللصوص . استباحوا الخباء بما فيه من ذهب ونسـاء . (ثـلاثـون عبـداً وجاريتان) الخباء تخلّص من بابه ، والخصى استغل عراء السماء . (الكثافة في زغب الفخدين) التقط حكمة النهر من فصها واكتئب لحظة واكترث لاعتراف اللصوص ! طمأنينة واضطراب من النهر حتى الخباء .

اعـترف أيها الطوطميّ ! بفيروزة في صفاق الغريزة ! آن لك الآن أن تتذابل حتى الجذور على جسد مغلق بالنصوص ! هنا المحصنات الخرائد لا يدرك الحـدس فيهنّ الاّ غموض المصوغات . (لايدفع الثوب عن جسـد غالـة) فرح في المكـان المقابل متّهم بالتوتر. آتى على حبّه المال واغتـالني بالحـوار، فنكّست أوتـاده بالجـوار. أنا فطرة الباب معكوسة وبلاغتها، وهو من علّم الباب سرّ الكآبة .

(4) النطاسيّ و«البوهاليّ»:

وشقّ النطاسيّ فرج امرأة
ليخرج صورتها من بكارتها الأزليّة. (يخفى صفاق البتول الحزازات)
أعجبها أن وزن بكارتها يتجاوز خمسين رطلا. تجوع ولا تتآكل من ثديها.
وتجوع فتأكل علّتها. يستحمّ. «البوهاليّ» في الحوض دون إراقة ماء على فخذيه.
الكثافة في سدرة المنتهى والسياحة في الأرض. (صوت رخيم ويخلع نعليه) وسوسة أولا، ثمّ وشوشة بعدها. ألفت أذنه وقرها واختلاج السليقة.
عاش بعلّتها زمنين وبعثر أسماءها : تارة مومياء، وأخرى جنان معلّقة، وصهيل باصطبله. يُخَرِجُ الماء اذ يستحمّ به جسدان غريبان. وَشَّحْتُ نفسي بالطين. واخجلي من نماذج لا يشتهيها النطاسيّ ! أضيق من صورتي الأصل. أصغر منّي اللالىء. أكبر منّي المحارة.

(5) البحر والنوتيـــة :

لنوتّية البحر أن يدركوا البحر من قعره. فلهم لغة تتنفّس من حشوها. ولهم فوق ذلك ما يبتغون : الكثافة. أبعدهم عن صفاء السريرة أقربهم من زعانفه وسراطينه. «السيليلوز» من الملح، و«الموسلين» من الدم. آيلة للسقوط لغات السويق. (ويشحذ «آملو» رخامة صوت «أغادير») نوتّية عَرَكُوا منطق البحر من ملحه. بلّلوا ماءه بالسويق الطرّى فلم يتورم. وهزوا جذوع النخيل فلم تتساقط فواكهها. (شحمهم ورم) رجعوا القهقرى.
يهزل البحر من سطحه والسراطين من لغوها والزعانف من لمعان الغضارف. ماتوا جميعا. وبعد الجنازة أوصوا بتحلية الماء من عجوة الشرق. (صوت رغاء «وصورته زبد») ثمّ رشوا الرموز كأنهم الراكبون على متن هذا الخيال العجوز.

(6) الفلكيّ والمظلّـــة :

وهاهي تدخل شيئاً فشيئاً الى جنّتين : بكارتها وكثافتها. يَتَفَتَّتُ ريش الندى المتساقط. يختار أوقاته الطقس. (طيّ المظلّة أو نشرها) أنت اذ تلثغين حروف البكاء يعمّق ملح الدموع الأخاديد في الوجنتين تعالي الى عُزْلَـةٍ بسـوابقها ولواحقها ! فهناك غبار مشعّ وحرب ضروس مقنّعة. وهناك البكارة من مقطع واحد. دعوتي لك مفتوحة : نزوة بكرِاماتها وعلاماتها تسع الجرح والمبضع التتريّ. هنا شَعَرٌ في ذقون الأجنة وفي سل الـدبس رائحـة العشب. فاقـتربي ! علّني أتـذوّق صيغـة الفلكيّة. (دار «الضـمانـة» صالحهـا الفلكيّ العجوز وحصّنها بالرقى) اقتربي ! (قد أتضاءل اذ أتفاءل) أدعوك ثانية للغرابة أو للغرور.

(7) القابلة والصيدلانيّ :

تخلخل بالقيصريّة بطناً حمولتها أربعون جنينا بحجم الأصابع، «قابلة» يتناسخ في كلّ ثانية جلدها المرّ : شيطانها ذكر في أصابعها يتنملّ . تعطى وتمنع عند انبثاق الحياة الحياة. (الصفاق العمودي) «قابلة» باحتمالين. موصولة بحبال البكاء الأجنة. «قابلة» تتنفس من رئة الصيدلاني يوم الأحد
إجازتها ورتابة مولودها السبت. ما نبست بالطلاق السداسي تلك الأجنة الّا لحاجتها الجسديّة. آيتها انعكست بالكثافة. فيها وراء الصفاق العمودي عالمة الغيب. كبريتة بالمخاص ورائحة الطلق. («والماس» في مائها الباس. فيها صحيح وفاسد «راحاب») كبريتة رئة الصيدلاني . سبت تمام إجازته بالأحد.

(8) الخِيمِيَائِيُّ والنحـــاس :

تراب يؤول الى نفسه. ونحاس يؤوله الخيميائيّ. (زدني انفجاراً أزدك ضياءً) يطول الكساء لطول القوام. وحين تحزّ الرؤوس بباب الشريعة» لابدّ أن تتدبّر أمر الرؤوس الكواهل.
تمر الجرادة مرّ الكرام بنارنجة كسرت بالأريج مسافتها، وفما من مخالبها ما يعوّضها عن عمى الشّم. إن «خناثة» تاج السنابل في جبل الملح.
أوصى بها جلدها المرّ. أوصى بها الساعة المعدنيّة. أوصى بها شعب «بوّان».
أوصى بها «العسقلاني». أوصى بها خرزة المسك. أوصى بها الخيميائي أن يتـأولها من نحاس السليقة. نرجستان على بابها المعدنيّ: الكثافة والدودة الزائدة.

(9) السلوقيّ والطريــدة :

أقولُ لمن يتعزّى بصيد الخنازير عن موته «بخليج الخنازير» : أن يتقرّب مني بنافلة مثلما يتغزّل في امرأة بالثناء على كلبها الفارسيّ. السلوقيّ حرفته أن يعيد الطريدة ميّتةً لسواء السبيل. (وَصَايَاهُ عشرٌ) قطاة معقّمة لم تعش عمرها العربيّ سوى ليلتين. (وصاياه تسعٌ مروضها العربيّ) القطاة مطعّمة بالكوابيس والنمل والحشرات المضيئة والدود. لم تتبرّج، ولكنها ألفت أن تعير الجناحين في نفس واحد وتسافر في نفسين. المسافر مروحة تتفاءل أو تتشاءم كالطقس. مقبلة كالرياح، ومدبرة كالأعاصير. مركوبة بحياتين آجلتين وراكبها حامل موته مرّتين. (وصاياه خمسٌ «خليج الخنازير») محشوّة بملوك الطوائف تلك القطاة، ومحشوّة بدموع التماسيح تلك القطاة.

«عسيب» مقيم ويقدر ألّا يفارقه وجهه «الأمازونيّ».

بحار جبل «قاف»

البحر الأول :

بحر أراجوز تحرّكه خيوط الريح . (ان مقدّم الاتعاب ارهاصي، ويحدث أن تكذّبنى كراماتي) الى التأديب أحوج أم الى التعدين. تُوضعُ صورة الوطواط في نصف الإطار. (تمامها في الليل) كان لصدره المثقوب ميمنة وميسرة، وكان العهد أن الماس والفيروز تحوير لما في الصدر والرئتين من نمل وديدان. رأيت بعينيّ الغوّاص يشحذ صوته الآتيَ، يُودِعُ روحه البيضاء في خيشومه، ففطمت عينى أن ترى نصف الإطار يغوص في نصف الإطار.

البحر الثاني :

بحر بخنصره يشعّ الخاتم المسحور. (أربعة فصوص الخاتم المسحور) فيه الرّخ والعنقاء. (بيضهما جفان كالخوابي) فيه أشجار فواكهها برأس الآدمي تعلّقت من شعرها، فاذا استوت سقطت، كأن سقوطها نضج. (وأنضجها قليل الجاذبيّة) فيه أن نساءه ذكر وأنثى من لقاح الريح يحملن الأجنّة بالتناوب. فيه أن لغاته صوت يسمّي أو يُسَمّى : ان تخارس أو تلافظ زلزل الإيقاع. (بين الخلق والابداع عنقود التناسل) فيه أن النشأة الأولى بغير مشيمة تغري، وليس به سوى نصف الإطار.

البحر الثالث :

بحـر يشقّ طريقـه الملحيّ . (أنسـاني انشقـاق البحـر بالمنساة إيرَادِي
وأطراف النزاع) الملح أخفى رأسه المقطوع في «سلهامه» خجلاً . يكاد،
لظلّه يعنـو. يكاد يذوب . (لا تشمت بي الأعداء يا رأس البلاغة !)
حرشف الحوت المشعّ إقامة جبريّة للحوت . (دبّر أمر كاهله المعطّل رأسه
المقـطوع . أرغمني على إفراده جمعاً . خرجت من الوصيّة لا أنا قطب
النزاع ولا أنا الإيرَادُ) . قلت لصاحبي : «أرني رعاك الله كيف تفرّ من
نعي عروس البحر ! كيف أفرّ من ثقلي ؟ وكيف أغوص في نصف الإطار؟

تغطيّة ثلاثيّة

(1)

جاث على قبرين. مستوف مساحته ويحصى ما تفّسخ من سداه

(2)

متعثّرٌ في أول الأسباب . من ألفٍ الى ياءٍ . ويقطر ماؤُهُ مَاءً كأن به مداه .

(3)

لم يبك نصف البحر صورة نصفه بحرٌ عداه.

ـ معقولات المعنى.

(1) مـــاء :

لأنهم بدمعتين احترقوا، تلطّف الطقس بهم ونطفة الماء. العيون أبصرت عماءها الأفقيّ من موعظة الجبل، من موقعة الجمل. (كلّ عانس حركة الذات إلى الذات) اختبر سلاسة الماء برائحته ولونه، وصحوة الشيء بما فيها من الشيء! اختبر نفاسة المعنى إذا نَفَخْتَ في الدمية روحاً! ماؤها الكبريت و«الآزوت» والخفّة والثقل. فيه عصمة السؤال.
(لعورة السؤال ألا تلبس «السروال») إنّي أسأل السؤال كي أضايق السؤال)

(2) برديّـــة

بردّية هازئـة من حبرهـا : مزولة عبريّة التقويم عن يمينها، (مكاسب الأوفـاق والأدراج) والناطور عن يسارها. (بصرك اليوم حديدٌ) قطرانٌ ونحاسٌ يعزلان قربة الماء عن الماء. السراب أول الحبر، ولكن الطريف أن من يوزّع الإيقـاع بين ضرّة النسل وبين ضرّة الفراش مستغنٍ عن القربة والماء لأن عُمْرَه القصير مستغنٍ عن البرديّة.
لأنه يكتبها، تكتبه البرديّة.

(3) «سَبْنِيَّـــةَ»

الصقلبيّ طاعنٌ في السنّ، و«السبنيّة» الحرير فيها خصلة الشّعر واستغاثتي.
ضرورة أن استخفّ بالتقاليد وأن أعَمِّدَ التراب بالماء. الرجال سبعةٌ: بحثاً عن الثامن تحتفي الرحى بظاهر الحبّة وَالإيقَاعُ في النواة. إنَّ الثّيبات يختزلن لغة الصلاة والأبكار يعصرن جمار الجسد العانس ما توالد المعجم من إشَـاعَـةٍ، وما تكسّر على أسمائه الماء، وما تَبَعَّضَ الشعر بالخصلة والجسد بالفراش.
(السمّ في «السبنيّة»
والسمّ في الإحْلِيلْ).

الموقوفات الثلاثة

(1)

تمؤ من موائها القطّة. لا أعمق من رِدَّتِهَا أمام باب مطبخ يغلقه الحرصٍ
ولا تفتحه سوى الروائح. مواؤها صَلاة جسدٍ يبكي ويبكيه الرماد أبداً
وأزلاً. بطاقة الدعوة عار الضيف. كيف تلبس الشهامة
شراهتين تحكيان صولة الأسد؟ في الرحم أو في سلّة الخُوص أنا، وهي
في غطرسة الفطرة صوت نَعَمِي ولائي.

(2)

تكتمل القطّة في موائها : حِدَأَةٌ طعامها الجرذان. حين يلتقى الخصيان
في مأدبة يحترقان بالكلام حصّةً، وحصّتين بالطعام العانس.
حدأةَ الـطين ! كلى من ثمـر الخـوخ بقدر ما يبيح العرف والله، وَإلاَّ
فاحذري أن تصبح النواة قاعدته والقشرة استثناء.
قادرة شجـرة الخـوخ على عيوبهـا، (ديدانها عيدانها) وقـادر تحصيلهـا
الحاصل أن يجعل منها قطّة وحدأة
مسّهما الإبداع من ظفرهما ولم يقلّم صدأه.

(3)

تنتقض القـطّة في موائها : جرادةٌ مالحةٌ. مهمّتي أن أكسر الدمى ولا أبقي سوى واحدةٍ كي أتناسل على طريقة الغيلان. (لا يرفعه هندامه الضيفُ ولا يخفضه) كينونة القطّة في فوسفورها وألق الخوخة في إغرائها اللفظيّ. ما من حيلةٍ تمنع حوّاء من الطنين والمواء. يا «كسّارة البندق» ! في غشائها !
عِشاؤك الأخير من عِشائها.

1987.2.12

فاس :

1987.7.05

«ذرعة من الداخـــل

الدخول الى «درعة»

صباح الخير «يادرعة» !

صباح الخير ! قرصانٌ يمؤ وخلفه اصطر لابه المكفوف. (رائده تورّط في «حـديث الإفـك») سلّمـه تسنّم نفسـه. (درجاته عشر) تسنّم أسفل الدرجات من أعلى. تضاءل حجمه بالجاذبيّة. حجمه الأرضيّ.

راود سلطة التيّار. لم يعبأ به التيّار. قاربه استقلّ بثغرة في قعره.

وبحكمـة «الخضر» المعلّم يدخـل المـاء المعقّم نهر «درعة» من شقوق البحر. يدخل بعده ملك وفرمان، (مغامرة الدخول ولادة) ولأنه من ثغرة الفرمان تنفذ خطوة بالخفّ قاصرة، تغافل حارس الجسر المعلّق عن عبور البحـر واللوح المـطعّم باللآليء. (مزدكي تبغه اليوميّ مأدبة) ويدخل شاعر في قشرة الكلمات. تدخل دمعة بغلافها الجويّ في التبخير. تدخل فقمة في غمدها البالي. (تسرّى بالجهات الستّ) تدخل عادة التخدير والإلمام باللغتين. تدخل نجمة قطبيّة في الراتب الشهريّ. تدخل موجة في جلدهـا الملغى. ومن نهر خرافيّ يوازي وزنـه ذهبـاً الى بحر يخاف خصومـه المـاضـين. يكـظم غيظه الأفقي والـرأسيّ في وحل القيادة والـريــادة والسيادة والـرياسة والسياسة والنخاسة. هذه توليفة المسمار

والعرعار يعقدها مخاض الخلق، يفصمها دبيب الرقم في البركار. بين رصاصتين يموت من يضع الذبابة في عيون ضيوفه. ويموت بعد براعة استهلاله بحقيقة قتلت تبدّل ريشها بحقيقة أخرى تبيح القتل. (ما ربطت يداه تفكّه أسنانه) هذا و«درعة» نهرها قفص، و«درعة» بحرها جمر. يسابق ظِلَّهُ الفرمان.. (داعب قطّة حبلى) حصاة لم تعكّر صورة الماء. الفقاعات المشعّة حجمها فيها. (قصارى جهدها التعديل والجرح) الفقاعات المشعّة عن حقول الثلج غائبة، وشاهدها الدّمى وتراشق الآتين من بحر الشمال بفروها. وللذة التسبيح قلّمت الأظافر كي أقول بحبّة ما لا تقول بحبّتين السبحة الكبرى. سقوط الحبّتين على طيور مثلها منّى، ومنهم بيعة الحرباء في عنقى، ومنّى هذه الغيلان ـ والغيلان تحت إهابها أخفى مقولاتى ـ، ومنهم نكهة الفرمان طازجة، ومنّى الجار قبل الدار. منهم أننى منهم، ومنّى أنني وحدى. أقدّر أنهم نصبوا كميناً لى «بدرعة». حاصرتنى شهقة النوتّى والأمواج في عبّارة الجسر المعلّق. قلت «للخضر المعلّم» : «يا معلّم ان أخذت اللوح

فاعتقني ! فلي وطن، ولي عبّارة مثلومة، ووراءها وأمامها بحر الشمال» .
تحيّة مني إلَى لوح مع الألواح يقرأ رافعا موسى الى جدل السماء، وخافضاً غضب التواطؤ في سفينته . «للدرعة» لوحها المثلوم والفرمان . في هذا الصباح فحصت عروة قطّة، فقسمت حيضتها على شهرين . أغرب من هباء الملح في جسد تحلّى بالرطوبة . قعره باب الخرافة . ما فقأت سفينة إلّا و«درعة» في خيالى . هل أفرّ ؟ اذن أداعب قطّة حبلى، وألهو بالمشيمة ! لا ضرأنا الأصفى . أنا سقراط في دوّامة التكرار.

المحمدية : 20 . 8 . 1987
فاس : 28 . 2 . 1988

(1) الموبـــذان :

دجّنِ النار والوجاق وأبقى
نفساً واحداً يجرّ به النار إلى قرصه. (العناكب حبلى بخيوط
الإسمنت) نعش هجين،
وسرير أخفّ منه، وشيء
لا يسمّى.
وبين ذاك وهذا، حاملات الجرار في الماء. نبض
لا بس دورة الزمان، وقلب
خالع قافه.
بحرفين دارت عجلات الأفلاك :
حرف نواة، ونواة حرف.

وشيئاً فشيئاً
تستقيل الجرار من قلق الماء.
فتاة في حفلة الصلب توصي
بسرير نعش، وترقص حتى
يتخلّى الوجاق عن عاهتيه.
ليس عيباً أن تكبر النار بالنار.
(زراد شت في إهاب زرادشت)
تماهى الرماد في رحم أخرى: جنين
مستخلص من بقاياه. رياح
لَوَاقحٌ تحمل النبت إلَى لونه المريح. تحلّى

كلّ عضو بنسبة الضدّ للضدّ.
(كبار النفوس كالشمع ذابوا) عيبها بردها.
وما قتل النار سوى رائها ونون الوقاية،
وَمَرَاتٍ لَفْظِية.
رابط الجأش يقرّ المصلوب كرهاً بها في
جبّة العصر.
أيها النَّارُ كُوني شفرة مرّت الأسامي عليها،
واستمدّت منَها البقاء!
(رحيق بعضي وبعضي لعاب)
رغوة قهوة الصباح.

غموض في حباب الفنجان.
(لم تنضج النار)
عريف يطلّ من شرفة الليل :
تنام البيوت في صخب الوصل وأمن الفوصى.
(ولم تنضج النار)
كتاب ابنه.
(ولم تنضج النار)
لذا أقفل الفهارس بالشمع :
خُرُومٌ تحت انتفاضة كفّ عارف أنها انتفاضة دفئين.
(النسيج المصريّ فيه وفيه) خزف بارد

وأبرد منه
إصبع النار.
نسبة الرفع للصلب ولاء
بإليتين ورأس هرميّ.
يكون ثمّة نهر،
ويكون الصدى صلاة،
ولكنّ سلامى للنار غير سلامى
لجهاز التخسيس يتعب ممّا
«تعبت في مراده الأجسام».

المحمّدية 27 . 8 . 1987

(2) القراغــول

اتركوا لي خيار أن تئد الريح ارتعاشي
أو أن توحّد بالأرض غُبَارِي .
واتركوا لي أن ينخر السوس ماهو زمان أو أن يرصّ عليه
مدناً في الحياد وحَّدَهَا الرعب .
(فسيخ الصبّار والتينة العجفاء)
بيت الدواء والداء . ثوبي
آخذ حقّه من النفي . ما إنْ
تتلاشى الأكمام في منطق النحلة حتّى
يسيل في الشهد ماء
نابع من «تزاحم الأضداد» .

(حفلة الصلب يحضر الصلب فيها)
ولك الساحة التي يتعرّى غبارها والوصيفات والحلازين والسيف
ـ هلّموا إلى النساء الرعابيب ! ـ سرير من صفحتيه ونعش من مداه .
وبين ذاك وهذا :
قاتل ميّت ورمس ورفش .
وليكن أنهنّ محض نساء
آريات ! (للريخ ساق بساقين)
ويلثغن سينهنّ بصمت .
مرحات . (بنقطة تمسخ الريح) خلعنا

على «القراغول» صيفاً،
وخلعنا على الحديقة عرياً.
(كلّ ما حقّه الحجاب تعرّى)
وليكن أنهنّ محض نساء
بطرات مثل الجنادب. دارت
عجلات الخذروف. ليس قشعريرةً وليس طوافاً.
أنما لاختلاجة الكفّ وقع لدبيب السوار في المعصم البضّ. تحاشى
السرير والنعش ظلّي. (لابس الفرويلبس الفهد ميتاً)
ولأن المفتاح سكناي ضاقت
ظبية بالشتاء والعسل المرّ وبي.

ظبيتان في كلّ قفلٍ،
وثلاث وأربعٍ يتسلّقن اشتعال الفيروز في الطوق والنحر.
فلأكُنْ مشاراً اليه،
فأنا مأخذ بعيد بمعناي قريب إلى مشار الإشارة!
ولتكن جبّة «الخلاسيّ» ! لا بدّ لإغرائها من العري. ظنّي
أنكم بالعقائد الصفر تلهون.
تسلّقتكم من النقطة ـ الخطّ.
بعيد من أنفكم،
وقريب من عَماكُمْ.
فزّاعة الحقل فيها

نكهة الملح والأبازير.
أعني :
أن تلك الثمار تحرس معناها ولا يحرس القراغول إلَّا
كونه حارساً لها.
تتعزّى
كاسحات الثلوج عن يدها البكر بداني قطوفها في اليد الأخرى.
اعتقوني ! لَطَالَمَا سابقتنى نقطة جهمة إلى جسد الريح.
على عرشها استوت.
كلّ ما في الأمر أنى أبد عنها بوشاياتي
وفحوى سوابقى وجهاتي.

فاس 18 . 10 . 1987

(3) الحبشيّ :

ليس في الردهة المشعّة أدهى
منك يا أيها الحواريّ !
لولاك لما شاقني الهزيع ،
ولولاك لما لابس العموديّ شكلاً
باخعاً نفسه على أثر الخطوة في نعلها .
لرّب جليس
صوته المستعار أكبر منه مرتين . الحصاة بالحجم تُقْصِي
عمرها البابليّ . والخيزران
بمسافاته القميئة . هاهو مطلّ على امتداد !
وهاهو مقيم على النحافة . عمر

صاعد بالهزيع من آخر الليل، وعمر
أمهريّ يصبّ في الأمهريّة.
لا يَشِي واحد بثانيه الاّ أن يكون السياق بالرتبة الأولى وجوداً
تلبّسته الوشاية،
وتكون المسلّمات حروفاً
في مسافاتنا القميئة. (لا خوف عليكم من سلطة القبل والبعد)
استتبّ الكلام فينا بما قبله، ولكنّ خوفى
بالذى بعده. الحواريّ مثلي
أمهريّ يصبّ في الأمهريّة.
(آفة الفيل عاجه)

بنزول الفيل عن جلده يكون دخول الفيل
في نزوه المهرّج. يا خالق ذرني
ومن خلقت وحيدا!
واحْذَرَنْ نزوتي كما أنا منها حذر.
طبعه النكوص. طليق
بيديه قلادة الريح لا يغزل منها سوى الشماتة.
بطء
دمويّ وسرعة دمويّة
في خريفٍ أرقّ ما فيه حبر
حبشيّ مرّ، وأعذب ما فيه اصفرار الشعاع.

ألسنة النار تقول الوجوه :
فحم كلام، ورماد غِطَاؤه. ولها في الأثير
وشوشة تورق في آخر المسافة. حبل
متناه بداخل البيت،
ممتدّ كثيرا بخارج البيت. شرط
أن تطول الحروب شيئاً فشيئاً
دوران الخذروف.
عمّا قريب يفتح الفاتحون في قشرة الأرض ثغوراً. يقاتلون لكيلا يحلموا بالسواد من ألف الصفر إلى يائه. لكيلا يكون الحبشيّ المغدور بالأمهريّة. أَلِفاً فجّة بمعتقل البيت، وباءً مباحة بفضاء البيت.

يشكو
من راهن طاهر الذيل الى راهنٍ جديبٍ.
فيا خالق ذرني
ومن خلقت وحيدا !
وتفرّ الطيور من نفق الأرض إلى سلّم السماء.
خفافاً يتعرّى الرجال من ألف التأنيث أو يائها. (تعرّى القضاة اليوم من
حيثهم)
كما تتعرىّ زلّة النطق باللسان، وتوصي شخصها المعنويّ
بالصبر. توصى
الحبشىّ المغدور بالأمهريّة.

فاس. 25 . 10 . 1987

(4) البطريــق :

رجل إذْ أفكّر الآن فيه، أتسلّى بحبّه في حصيدي.
فلامتداده لون وظلال،
ولاحتراقه ما يعدل خوفي على الرماد من السالب في الموجب.
الزمان تناهى، وتخطّى الفعلِ الموجّه صَوْبي.
(نقّني من شوائب الوهم حتّى يألف الثوبَ لونه)
وتخطّى السيف الذي عقر الناقة. طوبى
لبومة ببكاءين وطوبى لراهب بحسائين : شعير بحنطة، وشعير ببرغل.
ولنا من نوارس البحر نسل،
ولكم رؤية الأصابع. لا هو غراب
فيقتدى بحماقاته ولا هو قّس فيناجى الأرغن الغضب اليافع.

(طوبى لوردة الريح دارت
دوران الخذروف) قصّ علينا
كيف أن القطاة راودها الراهب عن نفسها، وكيف اعتراها
خجلٍ عابر.
ألا إنّ مازاد على خفقة الجناح وشاية
«باحتمال الأذى ورؤية جانيه». ولمّا تبدّدت بالحرارة،
بخلت مرّةً وجادت مرارا.
واستقرّ البطريق رهن وعاءين :
راهباً مرّةً وأخرى غرابا.
ثمّ سال السيف الخفيّ من السيف على ناقة.

(لكم يلسع الماء نقيق التيّار
من ألف المجرى الى يائه)
استعاض عن الناقة «بالسقط». لا انسياب من الحجم.
(ابن آوى في ميعة الشكّ)
(لا أتفه من عانس بمهر) بسيط
أن يرى نورس يشيّع جيفة،
وبسيط أيضا قراءة مزمور صغير عند اختلال التفاسير.
فروسيّة العصور الخوالي
في دخان العيون.
لكن حرصي

أن يطول البطء السريع زمانين.
مخيف أنا كما فرس البحر،
أنيس أنا كما زهرة الأوركيد.
لا تقبلوا اعتذارا من الداخل
في ظلّه
فرائحة «السقط»
على نابه.
يد بجهاز،
وأداة برعدها،
وتصاريح بدفن الموتى

على ألق المزمور.
ياقاريء الزبور أجرني !
من عذاب التخميس.
كلّ قراءة قابل وقتها.
لذاكرة القَارَب ما يحشّر النوارس فيها :
فالتعلاّت والتقَارير شتّى
وكتاب معبّأ بالغرابيب.
كتاب وجيفة
بين أيدي البطارقة.

فاس 28 . 10 . 1987

(5) زرادشت :

رجل رأسه المطوّق بالريش يشي بالحصار. في جودة السبك وفي سمته
النحيف وقار. ويشدّ الحزام قبّعة الخوص
ضنينا بها يخبّئه الرأس. (على نفسه جنى الدلو) فالماء
سعار محض، سعار كليل، ورذاذ يسيل من رحم البئر احتياطاً.
كأنها عادة التكرار منها تعاقب الرشّ والضخ.
تبنّت كلامه الأرض. دارت عجلات الخذروف في دوران الأرض.
في نبلها المشعّ. رضينا عن مزيد من السيولة بالبطء.
كأن الميلاد في رَحِمِ التكرار لا في النواة.
أدّى زرادشت وليداً شعائر الماء حتّى كبر الرأس في التميمة.
لا هو خمار بنطفتين، ولا هو قناع.

قرابة اللفظ للفظ.
رضينا أن ننبز اللفظ باللفظ. الحبال التي تشدّ «سرنديب»
الى بعضه رغاء، وآدم
نعله غامق. علينا كسوف،
وعليكم شمس فلا تكلونا لشعاع بَنَفْسَجيٍّ. رضينا
بقضاة لا يسمعون من اثنين. غموض في البئر والدلو والماء.
رضينا عمّا نسمّيه لوثة.
رافعاً رأسه وقبّعة الخوص عناداً، فما يطأطئ إلاّ وجهه المستطيل
والشارب الكثّ. عزلنا عنه البروج. طوينا دوران الفصل في الكوكب
العاطل.
(ها نقطة تحرّك معنى غائباً) هكذا تكلّم في أندلس ـ زراشت.

عروج نحو الجنون
ولا ينجيك منه سوى التثاؤب.
أحصي
عدداً من فواكه الضجر المثمر من يومه.
محطّته الصغرى عبور،
دور لها وعليها كالسلحفاة.
ما يكاد فَحِيحِي
ودبيب البركار بالحبر
يغري دَوَرَاني على اليمين يساراً.
هاهي الأرضَ نعله وخطاه.

(قد يدسّ الخروف معناه في الصوف)
نعال أخرى تصفّق للخطو.
أمَا تَرْعَوي !
اذا أنتَ معفى من شهيّ الجنون
أنت بمنأى عن الحقيقة.
أزهى فترات الجنون أن تفتل الشارب في غيبتي
وأن ينبت الإرهاق قبل الجذور فيه.
تذكّر ! (لا نبات بعارضيه) تذكّر !
أن صمتا بقوّة الصمت بحر، ثمّ وازن شهد النبوّة بالخلّ !
ومنـذ الـطوفان تدخّر الأرض تفاسيرها الشحيحة. مافي حرفة الأنبياء مثلك :

آرىَ وراعٍ مستهدف للوشايات.
أنا عاطل ولا أقرع الأجراس. سرّ. (عجائب السرّ شتّى في جبال القفقاز)
تختلق الخاتون طفلا من عانتين وفرج،
ويظلّ الخاقان في العانة الْعَانِسِ فحوى إشاعَةٍ ترث العرش.
(لعلّي به أبارز ظلّي)
أيها المشتكي من القوّة الصغرى ومن ضعفها المشعّ أجرني !
من عذاب تكونه في حريقي، وأجرني من التعلّات !
(جمر نوويّ الرؤوس)
إنْ كنت بئراً فلك السرّ والغموض، وإن كنت وعاءً
فما تغص بمائي.

فاس 28.11.1987

(6) مهيـــار

بعد حمىّ الصباح آنس مهيار نُشُوزاً في النسغ.
سقيا لشيراز، وسقيا لقاسيون، وسقيا لدم قاصر يد جّنة الفصد.
(اقتبس جذوة وزهم نعام وزهورا وحشية!)
أمة الله رهان مضى، ورهن سيأتي ريعة كلّما تلاقحت الريح.
جمار تهذي بها ينفع النار، وأخرى تروّض الفحم بالفحم.
(ليوم الحداد طعم مروق الريش من جلده)
الفجيعة بَكْرٌ، وصداق البكر المؤخرّ نار بتقاليدها.
وآنس ناراً بكمالين، ولو أنه أشار إليها لتماهى بها.
تذكّر سهواً
أنه غابة تمتّع فيها

من عرار التصغير والحسك المرّ وقطر الندى.
انتساب الى الريح. احتقان من أول السطر.
بيت وبغاث الطيور فيه.
مدان بانتسابين يقرع الكأس بالكأس.
(تسرّت بِبَعْلِهَا أمة الله)
عرار التصغير صيغة مهيار.
وقطر الندى اذا أنت بَدْءٌ، وهي المنتهى فما عمل الغابة في ظلّها المراوغ
إلاّ كَاشْتِعَالِ الخيوط في لحمة الثوب.
أنا أستريح من تعب الراحة.

بيتي ممّرد من قوارير.
وفي بؤرة التلاقح مهيار طريح،
وصدر جثة مهيار على ثديها الكسيح.
لَثَوْبٌ مدرسي أولى له الجوخ.
أَخْفَى
لتقاطيعه العريقة والظلّ.
كأن المنمنمات تصاميم. (لكم تخطىء المحاكاة!)
وعدي باختراق الفضاء ينقض وعدي
باحتضان النجوم.
يا أمة الله! اضطراراً أن ينقض الوعد بالوعد.

اختياراً أن يدخل الوعد في الوعد.
الى أن يدور مهيار بالجمر
يدور الخذروف دورته السبعين.
لا لونه بطاغ على الظلّ،
ولا ظلّه بباقٍ على العهد.
الى أن يقوم مهيار بالدور،
أنا أستخفّ من شرك الاعجاز.
(بعد الحطّاب يأتيك قنّاص عجوز
وبعده يعربيٌّ بنسيج، وفارسي بنول)
كلماتي بطيئة أيها الجمر!

فلا يحتجبن إذ يتعرين.
بغير الدموع تنصف عيناي مقولاتها
اعتبارًا لرشدي وظروف التخفيف. ياأمة الله!
(أسمّى بكارة وبتولين)
حبالٌ بأمنا ربطتنا
وبنفس الحبال تشنقنا الأم.
أنا في صحيفة الحزب ركن
للتعازي في ميتة لم أمتها.
(جدلٌ صاعدٌ إذا نزل الحجم)
ملاذى صحيفةٌ لم أذقها.

فاس 8 . 12 . 1987

(7) النوبيّ :

ولئلّا أجيء قبلك أخّرت زماني بما اختزلت من العمر.
نبيّ مُدَجّجٌ بقميصي، وقميصي بمعنيين وكمّ. (توأمان القميص والكمّ)
يغرى كذب الصدق بالمصيدة. تغري حجّة الغائب.
المعيّة واونوويّ الرؤوس دلّ عليه أنه قبضة من الشيح والريح.
ترفق بالواو ما دمت معنى دائرياً!
فللمعيّة حدس، ولها زينة وباب ومبغى، «وحديث الإفك».
السماء رضوض وأخاديد: فانتظرني الى أن
يتعرّى الخذروف من لذّة الخيط ومن متعة التسلسل والدور
فما هذه المسافة كوني جثة ساعة السقوط! وكوني نصف جرح!
(حيٌ جريح وأدهى منه جرحٌ حيٌ)

نعمت بأفعى، وبحبل تحت المظلّة، كيلا يلدغ المرء مرّتين من الجحر.
ترفّق بالحبل سوطاً وأفعى ! (ذلّ من يغبط الذليل)
سقاة مزجوا خمرهم بأمر وقالوا :
«كلّ أمس غد، وكلّ بخار آخذ حقّه من العطر والنفي»
ومثلي يطوي على الجرح صدراً.
عادتي أن أبعثر العطر والنفي على جثّة لأسقط فيها،
ثمّ ألهو باقتناص الجرذان من خشب السدّ.
أرى صَابئاً يعمّد بالماء عناوينه،
وفي عرفةَ النوم تنام الأشياء فيه وتلقى فضلات الأسماء
في بؤرة الصحو.

يعدّ الخروم صنفاً فصنفاً بحساب الغبار.
في غرفة النوم سريرٌ وساعةٌ وفحيحٌ وكتابٌ
يطوى لِطَيٍّ سجلٍ.
(هذه شهقة التناسل في كمّ قميص البواب)
لم يعبأ البوّاب إلّا بالخفيّ الخفيّ من أثر الجمر على سرّة القميص،
وإلّا باقتحام الخيال من ظلّه الخلفيّ.
زدني في غرفة النوم مهداً فأنا طفلها الغرير!
(دخلتم طقسها من سريرها وخرجتم من سداة اللحاف)
أنكر أني توأمٍ للقميص، أنكر أني باحتيال القنّاص
بعثرت شيئاً من خيال الظلّ الضرير.

غبار غرفة النوم.
لا يضايقني الطفل ولا مهده يطوّق «عيذاب»:
(يقوم النحاة من أحرف اللين)
بطفل تبنى وتعرب «عيذاب».
فكن قاتل الطفولة! حتّى يولد الناس راجلين ذكوراً من اناثٍ يحضن في أشهر الحمل. تطلّ العيون من كوّة الفرن على جثّة تخلّفت العادة عنها. يطلّ طفل صغير، عُمْرُهُ البابليّ أبلغ ما فيه. (يقوم النحاة من أحرف اللين على صابىء، وبالقرب منهم فطرة الماء والوسادة والرأس وعاداته) القوارض في السدّ، وموت الأحلام في غرفة النوم. (عفاف القميص في فتحة الكمّ)
تخاف الأشباح أن يقفز الطفل على وهمه، وأن يتخطّى عمره البابليّ.

كم يتمنّى أن يحبّ الأشياء من منطق الحدس !
وأن يستحمّ كالنهر في الماء وفي حتفه ! (لكلّ غبارٍ نسب مفرد)
لكم يتمنىّ لارتعاش الأعشاب فيه وفيها، هرماً هازئاً بسنبلة الريح !
(اغتصاب القميص من فتحة الكمّ)
حساب الغبار يقسم شيئين على واحد ضرير، ويلغى عادة الدور والتسلسل منه.
نرجسات برية ومرايا، وعلى الشاطىء المقابل نهر ماؤه حتفه،
فان سكت النهر تداعى لصمته الماء.
يامن بصهيل المرآة يمسح وجهيه ! أعنّى على خيانة وجه !
بفحيح الأفعى يسابق ظلّى، وَبِحَبْلٍ يقيس طولى بعرضى !
فلعلّ المدى «بعيذاب» صحوٌ ولعليّ أجيء بعده رؤيا.

فاس : 1988.2.5

درعة من الخارج

الخروج من الدخول الى «درعة»

مساء الخير يا «درعة» !

مساء الخير ! «بالحنطوز» و«التخمال» أدخل في الرفوف كأنني سفر، وأخرج صفحة ممحوةً بيضاء. أكتب ما أراه روايةً عنّي، ويكتبني سماعاً. ان بالحشرات لؤلؤة، وبالكذب الجميل محارة. ويقاطع الأعمى عصاه ليستفزّ الرجل بالأخرى ويكتم في غبار الأرض عثرته. أقول هزالها وتقول ضعفي رقصة الموتى. حياة الأربعين بآية، وبآية نوح تأخّر ألف عام في السفينة عمره. لم يبق الاّ موسم وتعربد الأشجار. (توصد باكراً باب البكارة. ينقض المعلول علّته) أخاصر ساقها وأمرّغ العينين في وحل المسافة لالتقاط الحبّ. يامن يكبت الأشجار ! (والإيقاع فاكهة) أناشدك المحبّة أن تروّض نزوة العاري فلا يتحرّج الزانون في فصل الخريف، وأن تشفّ تشفّ حتى لا ترى. أخبرت أن يدا تمسّد شعرها قطعت، وأن أصابع الآتين من أصْقَاع «درعة» قد تورّمت الإشارة والمشار إليه فيها. لَيْتَ أن شماتة الآتين من أصقاع «درعة» مرّة عفّت، وليت نقيقهم خبز وترياق، وليت قصيلهم إرْدَبُّ ملح. حنطة تجترّ محنتها على

باب الرحى المائيّ. رأسي في فسائليها، وفي عُسْلُوجِهَا طيني الشقيّ. (تقايض العنزات «دار الدبغ» بالجبل الأشمّ) شماتة كتبت لتورث مرّة لغة وأخرى مهرة. (والخير معقود بناصية الخيول) لأنها تختار محنتها، ولمّا تمتلي السيقان تدخل في تراب ضاحك يمشي، وتخرج من تراب مقعد يبكي. تعمّـد هذه المرآة في ماء الرعونة طفلها، وتعدّ للبركان حين نزيفه لغة وتـركب مهرة بيضاء قبل خسوفه وكسوفه. الآتون من أصقاع «درعة» كلّهم يزنون ريشة طائر ووميض نجم. طفلها لحفيده وحفيده لِكُمُونِه وظهوره. المرآة في ريعانها تئد المسافة بانعكاس فجورها في الطفل مكتوفاً وتقـواهـا. ولـولاها لما انسحبت قروح الشمس من دمها، وَلَاكْتَشَفَ القَـدُومُ هشـاشـة «البازلت». أعرف أنها لغة وأن جنينها المعطوب من ملح. (تكلّم بالسليقة طفلها المخلوع) كان أمومة شاخت برغم كمالها الوحشيّ. كان مبلّلا. (أما أنا فخلعت صاحبتي وقصّة إفكها وتواطؤ العلم الحديث) وكان مكتوفا لأن الماء فيه أرقّ من شعرات صِينيٍّ وأمضى من سيوف الهند. (أوقيّة بصاعين) المجاعة لا تفكّر اذ تعدّل وزنها، لكن

لا تفكّر اذ تعدّل وزنها، لكن «درعة» مثلنا تزنى وتأكل. لم أفكّر مثلها في حيلة أخرى. تفتّقت القريحة عن نبات الفطر. (مأكول وآكله يَمُوتُ فما ويحيا لقمة) ليد تمسّد شعرها العارى يد قطعت.
إشارتها أداة. صافحت يدها يدي لصٍّ. طريّ في العيونِ الرقّ.
عاجـزة عيون الـرق عن ردّ الجميل. هنا رماد الثلج يَقْطُرُ من كفوف المنتمين إلى الأصابع في عيون اللص. داعب قطة حبلى ولم يك مازحاً.
سقراط هذا لا تكرّ ره أداة النسخ والورّاق.

فاس 27 . 2 . 1988

فهرس

تم الطبع بمطابع
افريقيا الشرق
159 مكرر شارع يعقوب المنصور الهاتف : 25.98.13 - 25.95.04 - الدار البيضاء

أفريقيا الشرق

159 مكرر، شارع يعقوب المنصور
الدار البيضاء

25.95.04
25.98.13